

السياق ودوره في تفسير القرآن

أحمد طاهر فليح الحسين

طالب دكتوراه، قسم علوم القرآن والحديث، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران

mm0775y@gmail.com

د. عزت الله مولاي نيا (الكاتب المسؤول)

أستاذ مشارك، جامعة قم، قم، إيران

molaeiniya@gmail.com

د. محمد شيرين كار موحد

أستاذ مساعد، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران

Movahed1010@gmail.com

Context and Its Role in the Interpretation of the Qur'an

Ahmad Tahir Faleh Al-Hussein

PhD Student , Department of Quranic and Hadith Sciences , University of Religions and Sects , Qom , Iran

Dr. Ezatollah Moulay Nia (Responsible Author)

Associate Professor , University of Qom , Qom , Iran

Dr. Mohammad Shirin Kar Movahed

Assistant Professor , University of Religions and Denominations , Qom , Iran

Abstract:-

This study addresses the phenomenon of interpretative narratives that deviate from the original context of religious texts, raising significant questions about their validity and implications. The research explores this phenomenon and analyzes the effects and impacts of narratives that differ from the conventional context. In this study, attention is given to interpretative narratives that diverge from the traditional and common paths, analyzing and evaluating them with a focus on understanding and interpreting new meanings. The researcher aims to examine narratives that deviate from usual interpretative patterns, studying their impacts on the comprehensive understanding of sacred texts. The study focuses on deriving new or different meanings from these unconventional readings, as well as exploring various perspectives on the acceptance or rejection of these narratives and their effects on our understanding of religious concepts. Through this approach, the research highlights the importance of a careful evaluation and interpretation of diverse narratives to achieve a more comprehensive and deeper understanding of the more complex aspects of interpretation. This study employs a descriptive and analytical methodology to examine the interpretative narratives that contradict the context in terms of accuracy and implications. In conclusion, the following results and recommendations are summarized, with a note that further topics can be explored in this investigation. Further Topics of Investigation: 1. Exploration of Non-Traditional Sources: This involves examining the theoretical foundations and unconventional sources upon which these interpretative narratives are based. It includes philosophical literature, modern interpretative theories, and new models for interpreting sacred texts. 2. Social and Cultural Impacts: The research delves into the impacts of these narratives on societies and cultures, and how they interact with traditional and official interpretations. 3. Religious Acceptance and Criticism: This aspect of the research studies the acceptance or rejection of these narratives by religious institutions and figures, as well as exploring the criticisms put forth by religious scholars and thinkers. 4. Impact on Education and Academia: The study focuses on examining the role and influence of these narratives in educational settings and universities, and how they affect the teaching and learning of religious texts. 5. Future Perspectives: Offering suggestions and visions for future research in the field of context-opposing interpretative narratives and their impact on the understanding of religious and social concepts.

Key words: interpretive narratives, semantic context, connotations of the Holy Quran, religious texts, non-traditional sources.

المخلص:-

يتحور الموضوع حول ظاهرة الروايات التفسيرية التي تنحرف عن السياق الأصلي للنصوص الدينية، والتي يثير اعتبارها ودلالاتها تساؤلات هامة. يتناول البحث استكشاف هذه الظاهرة وتحليل الآثار والتأثيرات التي قد تنجم عن هذه الروايات المختلفة عن السياق المؤلف. في هذا البحث، يُلقى الضوء على الروايات التفسيرية التي تنحرف عن المسار التقليدي والشائع، ويتم تحليلها وتقييمها بتركيز على فهم وتفسير معان جديدة. يسعى الباحث إلى فحص الروايات التي تنحرف عن الأنماط التفسيرية المعتادة ودراستها، وفحص تأثيراتها على الفهم الشامل للنصوص المقدسة. يتم التركيز على استخلاص معان جديدة أو مختلفة من هذه القراءات غير التقليدية، وكذلك استكشاف وجهات نظر متنوعة حول قبول أو رفض هذه الروايات وتأثيراتها على فهمنا للمفاهيم الدينية. وفي هذه الطريقة، البحث يظهر على أهمية تقييم دقيق وتفسير الروايات المتنوعة لتحقيق فهمًا متعمقًا وأعمق لجوانب التفسير الأكثر تعقيدًا. تم استخدام في هذا البحث منهج الوصف والتحليل للروايات التفسيرية المتناقضة مع السياق من حيث الصحة والدلالات. وفي الختام، يتم الاكتفاء بالنتائج والتوصيات التالية: يُمكن الإشارة إلى المزيد من المواضيع في هذا التحقيق: البحث في المصادر غير التقليدية: يتناول فحص الأسس النظرية والمصادر غير التقليدية التي تم بناء هذه الروايات التفسيرية بناءً عليها. يتضمن ذلك الأدب الفلسفي والنظريات التفسيرية الحديثة والنماذج الجديدة لتفسير النصوص المقدسة. التأثيرات الاجتماعية والثقافية: يتمثل البحث في دراسة تأثيرات هذه الروايات على المجتمعات والثقافات، وكيفية تفاعلها مع التفسيرات التقليدية والرسمية. القبول والانتقادات الدينية: يتمثل البحث في دراسة قبول أو رفض هذه الروايات من قبل المؤسسات الدينية والشخصيات الدينية، بالإضافة إلى استكشاف الانتقادات التي تم طرحها من قبل علماء الدين والمفكرين. تأثير در أومزش و دانتشگاه: الدراسة تركز على فحص دور وتأثير هذه الروايات في بيئات التعليم والجامعات، وكيفية تأثيرها على تدريس وتعلم النصوص الدينية. روية المستقبل: تقديم اقتراحات ورؤى للمستقبل لأبحاث إضافية في ميدان الروايات التفسيرية المعارضة للسياق وتأثيراتها على فهم المفاهيم الدينية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الروايات التفسيرية، السياق الدلالي، دلالات القرآن الكريم، النصوص الدينية، المصادر غير التقليدية.

التمهيد:-

بعد السياق من العوامل الأساسية التي يجب أخذها في الاعتبار عند تفسير القرآن الكريم، حيث يلعب دوراً حيوياً في فهم المعاني الصحيحة للآيات القرآنية. يشير السياق إلى الظروف والسيقات التاريخية والاجتماعية والثقافية التي كانت موجودة أثناء نزول الآيات، وهو يوفر الخلفية الضرورية لفهم المضامين والأحكام الواردة في القرآن. وهو أداة أساسية لتوجيه تفسير القرآن، حيث يساعد على تحديد المفاهيم والأفكار المعبر عنها في الآيات وتفسيرها بشكل صحيح وملائم. بفهم السياق الذي نزلت فيه الآيات، يمكن للمفسر أن يقدم تفسيراً أكثر دقة وتأسيساً لمضمون القرآن وتطبيقه على الظروف الحالية.

تعريف السياق

أصل "السياق" في اللغة: سواق، قَلَبَتِ الْوَاوِيَاءَ لَكَسْرَةِ السَّيْنِ^(١)، وهو مأخوذ من الجذر اللغوي "س و ق".

قال ابن فارس - رحمه الله: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء، يقال ساقه يسوقه سوقا والسيقة ما استيق من الدواب. ويقال سقت إلى امرأتي صداقها، وأسقته والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق. والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، إنما سميت بذلك لأن الماشي يساق عليها"^(٢).

يمكن تعريف السياق على أنه بناء النص كامل في فقرات مرتبطة، في أجزاء المترابطة سواء اللاحقية أو السابقة للحقل المعني داخل النص، ودائماً ما يكون هنالك ترابط بين أجزاء السياق، حيث يسلط الضوء ليس على معاني الكلمات بشكل منفرد بل على النص أو الفقرة داخل النص كلها^(٣).

وللسياق إستعمالين أساسيين:

الأول: يتعلق بالنظم اللغوي للمفردات في بيئة نصية محددة: مفردة contexte قد تمّ توظيفها في العصر الحديث للتعبير عن معاني مختلفة، والمعنى الذي يتبادر إلى ذهن المتلقي هو المعنى الكلاسيكي أي النظم اللفظي للكلمة وموضعها من ذلك النظم، ان السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل

الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب بل القطعة كلها و الكتاب كله^(٤).

الثاني: يخضع للتداول حسب الظروف الداخلة مثل الظروف النفسية والثقافية والديموغرافية التي تدخل في إنتاج الكلام، يقول جون دييوا: "السياق هو مجمل الشروط الاجتماعية المتفق عليها، التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللغة، وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمرسل إليه والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة بينهما"^(٥).

فالمفهوم العام للسياق هو التابع والترتيب والنسج والتركيب فهو يشمل نظم الكلمات والتراكيب داخل النص الأدبي^(٦). هذا التعريف يسمح لنا أن نقول أن السياق هو جوهر المعنى المقصود في أي بناء نصي أو كلامي فهو لا يلقي الضوء على الكلمة والجمله فقط وإنما على النص المكتوب والكلام المجمل من خلال علاقة المفردات بعضها ببعض السياقات المختلفة^(٧).

دور السياق في تفسير المصطلحات:

اللغة العربية أكثر لغة وسعة في عالم الوجود لكثرة المفردات والدلالات والمعاني فيها، حيث يصعب فهم معاني مفردات هذه اللغة العظيمة دون النظر إلى السياق، وعندها تتبين معالم المصطلحات ومعانيها، وتنتفي تعدد المعاني وإشتراكاتها، ويقطع القارئ بإرادة ويقف على أحد معاني المفردة. فللدلالة السياق القرآني أهمية بالغة في تفسير كلام الله - سبحانه وتعالى، فهي أصل أصيل من أصول هذا العلم، وبإهمالها يضع المفسر قدمه على عتبات الزلل، ويركب مراكب الخلل، وتوسم آراؤه بالعلل، فيعظم الخطب ويصبح جلاً.

"تستمد دلالة السياق القرآني أهميتها من كونها تفسيراً للقرآن الكريم بالقرآن نفسه، حيث إنها: بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة، بل إن سياق الآية وسياق المقطع من أعلى مراتب تفسير القرآن بالقرآن؛ لأنه في محل واحد"^(٨). ومن أمثلته:

المثال الأول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَمَرْضًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَائِنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَاتَّقُوا وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢/ المائدة ٢٠٠﴾

في كلمة "شعائر الله" في الآية الشريفة، هناك آراء مختلفة. بعضهم يعتبرها تطلق على الأحكام الإلهية بشكل عام، بينما يعتبرها البعض الآخر تنطبق على المناسك. يقول أبو الفتوح الرازي: "عبد الله بن عباس ومجاهد قالوا: المقصود بـ"شعائر" هو مناسك الحج، حيث جاء المشركون لأداء الحج وتقديم الهدى، وأراد المسلمون نهبهم، فنهاهم الله عن ذلك. وقوله: ﴿وَمَنْ يُعْظَمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، قال عطاء: المقصود بـ"شعائر" هو معالم الشريعة، ومعناها: (لا تحلوا حرمة الله)، أي احترام الحرمات التي حرمها الله وعدم تجاوزها، واتباع أوامره ونواهيه بما قاله. وبعضهم الآخر قال: المقصود بـ"شعائر" هو معالم الحرم، أي الاحترام والتقدير، ومنع ما حرم الله في الحرم وعدم المساس به، وهذا القول غير مقبول. وقال ابن جريح: المقصود بـ"شعائر" هو معالم الحج وأركانه وأفعاله من المناسك، وتركها والتساهل فيها والإهمال بها^(٩).

يقول العلامة طباطبائي: "الشعائر جمع (شعيرة) وتعني العلامات. على سبيل المثال، المقصود بعلامات الحج ومناسكه، والمقصود من (هدى) البقر والإبل والغنم هو ما يحضر للهدى في الحج. و(القلائد) جمع (قلادة) تعني النعل أو ما يعلقونه على عنق الهدى ليظهر أنه مخصص للقربان."

وفي النهاية، يكتب: "المفسرون يختلفون في تفسير الشعائر والقلائد وبعض الكلمات الأخرى في الآية، وما ذكرناه يتناسب أكثر مع سياق الآية الشريفة، والفئة من المفسرين الذين اعتبروا الشعائر عامة لم يلاحظوا السياق الآية، والمقصود من الشعائر هو علامات الدين."^(١٠)

المثال الثاني:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُنثَىٰ ذُرِّيَّتِكُمْ وَأَلْهَامٌ لَكُمْ وَالذَّمُّ وَالْخِنْزِيرُ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا

أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُجَّ عَلَى النَّصْبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِى يَوْمِ النَّبِيِّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَمَرْضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (سورة المائدة، الآية ٣)

في هذه الآية، تمت مناقشة عبارة "أن تستقسموا بالأزلام". قال ابن أثير الجوزي (٦٠٦هـ) في معنى "استقسام وأزلام": "استقسام هو تقسيم الأقسام. العرب في الأزمنة القديمة عندما كانوا يعتزمون السفر أو الزواج أو القيام بأي عمل آخر، كانوا يلقون قرعة باستخدام الأزلام والقداح. كانوا يكتبون على بعضهم البعض "أمري ربي"، وعلى البعض الآخر "نهاني ربي"، وعلى البعض الآخر "غفل". إذا خرجت كلمة "أمري"، كانت وجهتهم تلك، وإذا خرجت كلمة "نهاني" من الوعاء، كانوا يحتفظون بها، وإذا خرجت كلمة "غفل"، كانوا يكررون العمل مرة أخرى حتى تظهر في النهاية الأمر أو النهي." (١١).

التفسير الأول: يقول العلامة مغنية: "أن تستقسموا بالأزلام" يعني أن الاستقسام بواسطة الأزلام قد حرم عليكم. والأزلام هي جمع زلم أو زلم، والزلم هو قطع من الخشب يُصنع على شكل سهم. كانت عادة في الجاهلية أنه عندما كانوا يقومون بعمل ما، خاصة إذا كان مهماً، كانوا يأخذون ثلاثة أشرطة من الخشب، وكانوا يكتبون على واحدة منها "أمري ربي"، وعلى الثانية "نهاني ربي"، وكانوا يتركون الثالثة فارغة، ثم يكتملون الأشرطة بشيء ما ويضعون أيديهم داخلها، ويخرجون واحدة، إذا كانت "أمري" فإنهم يقومون بالعمل، وإذا كانت "نهاني" فإنهم يتركون العمل، وإذا كانت فارغة يكررون القرعة مرة أخرى حتى يظهر الأمر أو النهي." (١٢).

التفسير الثاني: يعني "الأزلام" بمعنى "القداح" أو "الظروف"، والاستقسام بواسطة القداح هو عملية القرعة التي كانت مألوفة في عصر الجاهلية، حيث كانوا يشتركون حيواناً بعد اتفاق على شروط معينة ثم يذبحونه، ثم يضعون عشرة أشرطة من الخشب في كيس، يكتبون على سبعة منها اسم الرابح وعلى ثلاثة أخرى اسم الخاسر، ثم يخرجون قطعة خشب من الكيس بواسطة القرعة. كان كل اللحم المذبح يتم تقسيمه، ويكون الحصص السباعية للراجلين وكانوا يدفعون ثمن الحيوان، بينما لا يكون للخاسرين حصص من اللحم،

وقد حرم القرآن مثل هذا الحيوان، لذلك فإن "الأزلام" هي الأشرطة الخاصة بالقرعة. تمت إشارة إلى هذه النظرية التي اعتبرها بعض المفسرين "استقسام بالأزلام" بمعنى التفاءل والطيرة التي كانت منتشرة في العرب الجاهلية، حيث كانوا يتنبأون بالخير والشر في أمور مهمة مثل السفر أو الزواج أو غيرها، باستخدام طرق مختلفة للتفاءل، ولكن لا يمكن تطبيق هذا المعنى على الآية، لأن سياق الآية لا يتوافق مع هذا المعنى، بالإضافة إلى أن الآية الشريفة تحاول تذكير بالمحرمات من الأطعمة، وذكرت عشرة محرمات منها: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أحل به غير الله، والمنخقة، والموقوذة، والمتردية، وما أكل السبع، وما ذبح على النصب، واستقسام بالأزلام.^(١٣) بعض المفسرين مثل الدكتور وهبة الزحيلي قد أولوا اهتماماً لكل من المعاني في الآية^(١٤).

دور السياق في توسيع وتحديد معاني الكلمات:

قال تعالى في محكم كتابه الحكيم: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ﴿الحج ٣٢﴾.

تم مناقشة وتفسير معاني "الشعائر والتعظيم" من قبل المفسرين. يقول الفيومي: "الشعائر هي علامات الحج وأعماله، وصيغة المفرد لـ (شعيرة) أو (شعارة)، والمشاعر هي المواضع التي تقام فيها مناسك الحج."^(١٥) ذكر في معجم الألفاظ القرآنية: "الشعائر" جمع "شعيرة" وهو ما يراد به في حج الشعائر، هو المواضع والمناسك التي تُنص عليها وتُأمر بأدائها في الحج. وعلى هذا الأساس، قد قالوا: "شعائر القوم في الحرب"، وهي العلامة الخاصة لكل مجموعة تساهم في تحديد هويتهم. ويقال أيضاً: "أشعر الهدى، إذا طعن في سنامه الأيمن حتى يسيل منه دم ليعلم أنه هدى"؛ حيث "إشعار" يعني ضربة في الجانب الأيمن من جسم الحيوان حتى يتدفق منه الدم ليعرف أنه هدى^(١٦).

فيما يتعلق بما يقصد من "الشعائر"، هل هو فقط الحيوان الذي يُحضر للذبح في الحج، أم أنه يُقصد بشكل عام الرموز والبرامج والأحكام الدينية، هناك اختلاف في الآراء؛ حيث يعتقد الزمخشري أن المقصود بتعظيم الشعائر، وهي الهدايا التي تُقدم في مكة، هو أن الحيوانات المختارة للذبح يجب أن تكون كبيرة الحجم ومكلفة، ولا يجب التدخل في عملية شرائها^(١٧).

وردت في روايات أهل البيت عليهم السلام معنى الشعائر كونها الجسم، أي الإبل المخصصة للذبح، وتعظيم الشعائر يعني كون الحيوان كبيراً ومرغوباً. (١٨) البيان الثالث الذي تم ذكره حول الآية الشريفة هو أن المقصود من الشعائر هو جميع الأحكام الإلهية. وبالتالي، تقوم هذه النظرية على أساس أن الآية الشريفة تعلن قانوناً عاماً يتعين على كل شخص تكريم الشعائر الإلهية، ولا تقتصر على الأحكام المتعلقة بالحج بشكل خاص، على الرغم من أنها تشملها أيضاً. (١٩) العلامة الطباطبائي يعتقد أن المعنى الثاني هو المقصود، ولا يمكن اعتبار الآية شاملة لجميع علامات الدين؛ لأن سياق الآية لا يتناسب مع هذا المعنى، أي أن الآيات التي تسبق هذه الآية والآيات التي تليها تتعلق بمسألة قرباني، لذا يجب أن يكون القرباني المقصود هنا أيضاً (٢٠).

دور السياق في تحديد معنى الجملة:

قال تعالى: ﴿وَسَيُتَنَبَّأُكَ فِي النَّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكَ فِيهِنَّ وَمَا يُنَلِّى عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ فِي يَمَاسِ النَّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتِيهِنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَنَرَّغِبُونَ أَنْ تَكْحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [نساء/١٢٧]. العبارة "ترغبون" قد جذب اهتمام المفسرين الذين يحاولون تفسيرها بطريقة معينة. في الأدب العربي، تُستخدم بعض الكلمات التي تحمل حرفي جر بمعانٍ متناقضة: "رغب" و"شغل". إذا استخدمت "رغب" مع "عن"، تعني الابتعاد عن شيء ما، وإذا استخدمت مع "في"، فتعني الرغبة في ذلك الشيء، كما في الآية "أرأغب أنت عن آلهتنا يا إبراهيم" والتي تعني ابتعاداً عن الآلهة. وقد ذكر الجوهري: "رغب فيه: إرادة، ورغب عنه: لم يرد" (٢١).

قال علماء النحو إن الفعل الذي يأتي مع حرفي جر، في حالة حذف الحرف الجر، يجب أن يكون هناك دليل على نوع الحرف الجر الذي تم حذفه. وقد اعتقد جلال الدين السيوطي أن هناك قرينة موجودة في الآية الشريفة تفسر (ترغبون) كاشتغالها على المعنيين للابتعاد أو الرغبة، ولكنها لم تكن واضحة بالنسبة لنا. وقال أحمد بن يوسف سمين الحلبي في كتابه "الدر المصون": "علماء اللغة العربية يعتقدون أن حذف الحرف الجر مع أن وأن مسموح به، شريط أن يكونوا آمنين من الخطأ، أي أن يكون الحرف الجر معروفاً. كما في مثال: (عجبت أن تقوم)، أي (من أن تقوم) على خلاف (ملت إلى أن تقوم أو عن أن تقوم). وقد اعتقد

بعضهم أن الآية الشريفة تنتمي إلى النوع الثاني الذي يحذف فيه الحرف الجر ويسبب الغموض، ولكن ينبغي لنا أن نقول لهم إن الآية الشريفة صالحة لكلا المعنيين، ودليل ذلك سبب نزول الآية، لذلك يشمل كلا الحرفين الجريين. وبناءً عليه، فإن الفعل "رغب" يُستخدم بدلاً عن الحرفين الجريين في كل من المعنيين.^(٢٢) قد أورد العلامة جمال الدين قاسمي ما نقله ابن جبير حول استعمال مفردة الرغب والاقتصار على معنى واحد، وقد ذكر الحفاجي أن مثل هذا الاستعمال للبس لا يعد خطأ.^(٢٣) بل هو توسعة؛ لأن التوسع يشير إلى عدم وضوح المعنى وإمكانية وجود عدة احتمالات. وقد قام أهل الاجتهاد بفرق بين التوسع واللبس، إذ قالوا: "والفرق بين اللبس والاجتماع، مما يهتم في الأقوال، فاللفظ إن أفهم غير القصد، فاحكم على استعماله بالرد لأنه لبس، وأما المجمل، فرمما يفهمه من يعقل".^(٢٤) وقد تم تعريف اللفظ المجمل في كتب الأصول على النحو التالي: ما يكون المقصود منه مغطى، والتوسع يكون من جانب المتكلم نفسه. وأسباب التوسع أحياناً تكون تقارب اللفظ بين عدة معان، وأحياناً تكون غرابة اللفظ.^(٢٥) وصف السرخسي للمجمل هو كالتالي: اللفظ الذي لا يفهم معناه إلا من خلال تفسير مجمل.^(٢٦) بالتالي، هناك فرق بين المجمل واللفظ الذي يحوي خطأ. كتب العلامة طباطبائي: "في الآية (اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن) تم إقامة دفاع عن الفتيات اليتيمات، على الرغم من أن الله قد شرع لهن أحكاماً ليتخلصن من العادة الظالمة التي كانت متداولة بين العرب، حيث كان بعض الرجال يستغلون الفتيات اليتيمات لطمعهم في الثروة والميراث الذي كان ينتظرهن، ويقدمون عليهن عروض الزواج، ثم يبدأون بالاستيلاء على أموالهن ويبدوون بالاستغلال والاهمال دون دفع مهر".^(٢٧) بناءً على هذا التحليل، الحرف الجار المحذوف في "أن تنكحوهن" هو "عن"، والمقصود هنا هو عدم الرغبة في الزواج وليس الرغبة والتمايل. دليل آخر على هذا المعنى هو الجملة التي تأتي بعد ذلك في الآية التي تشير إلى حرمان النساء: "لا تؤتونهن ما كتب لهن"، بالإضافة إلى الجملة التالية: "والمستضعفين من الولدان".^(٢٨) إذا نظرنا إلى السياق المحيط ببداية الآية والسياق المحيط بنهاية الآية الشريفة، فإن الجملة تصبح أكثر وضوحاً ولا يتبقى مجال للاجتماع العام. ذكر الزمخشري كلا الاحتمالين في الآية الشريفة ونقل أيضاً في سبب نزولها نقطتين، إحداها تتناسب مع "عن" والأخرى تتناسب مع "في"^(٢٩).

دور السياق في تجميع الآيات:

إن التفاسير المعاصرة تعطي اهتماماً خاصاً لدور السياق في تركيب الجمل في الآيات الشريفة من القرآن، على الرغم من أنه قد يكون مختلفاً عن الرأي المعتاد:
مثال ذلك:

﴿وَسَيَقُولُ فِي النَّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يَلِيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي بَيِّنَاتٍ لِّلنِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ (نساء/١٢٧)

قبل التطرق إلى جوهر الموضوع، يجب الإشارة إلى نقطة كمقدمة، وهي أن هناك اختلاف في الرأي بين علماء النحو البصري والكوفي بشأن ما إذا كانت الاستثنا بالضمير المتصل، دون تكرار حرف الجر، صحيحة أم لا؟ قام ابن أنباري بذكر هذا الموضوع بتفصيل في كتاب الإنصاف^(٣٠) وقد تناول علماء النحو هذا الموضوع في نقاشاتهم^(٣١) وقد تحدث المفسرون أيضاً بشأن هذا الأمر تحت الآية الأولى من سورة النساء. موجزاً، قالوا إنه إذا كان الاسم الظاهر يأتي بعده ضمير متصل بحرف جر أو مضاف، وتمت العطف، فهل يجب تكرار الجر أم لا؟ البصريون قالوا إن العطف على الضمير المتصل بدون تكرار الحرف الجار غير صحيح؛ لأن الضمير المتصل هو مثنى، والعطف على المثنى غير صحيح، ويجب أن يكون المعطوف والمعطوف عليه قادرين على أن يأتوا في مكان آخر^(٣٢) ويعتبر الكوفيون أنه صحيح، واتبعهم الشلويني وابن مالك وأبو حيان وابن هشام. وفي الألفية ذكر ابن مالك: "وعود خافض لدى العطف على ❖ ضمير خافض لازماً قد جعله، وليس عندي لازماً إذ قد أتى ❖ في النظم والنثر الصحيح مثبتاً"^(٣٣) من المفسرين الشيعة، قبلهم الأردبيلي في "زبدة البيان" وفاضل جواد في "مسالك الأفهام" قبلوا أنه ليس من الضروري تكرار حرف الجر^(٣٤). استخدم العلامة طباطبائي سياقاً يدعم أن قراءة "جر" أفضل من قراءة "نصب"^(٣٥) على أي حال، أنصار هذه النظرية قد ذكروا أن ظاهر آيات القرآن وأشعار العرب الفصيحة تؤكد ذلك^(٣٦) في كتاب "الميزان"، يكتب العلامة طباطبائي: "ظاهر سياق الآية يوضح أن حكم الأيتام والمستضعفين الذين وجههم الله تجاههم مرتبط بحكم النساء،

تماماً كما هو الحال في بداية آيات هذه السورة؛ وليس لأنه يدخل ضمن (ما استفتوا). إنما كانت استفتاءهم مخصوصاً بالنساء، لأن اللازم في هذا السياق والبيان، هو أن (ما يتلى عليكم) يتعلق بالضمير المجرور في (فيهن)؛ وفقاً لما اعتبره الفراء جائزاً، على الرغم من أن الجمهور النحوي قد منع ذلك. لذلك، المقصود من قول الله: (ما يتلى عليكم) هو الأحكام والمعاني التي تتلى عليكم في الكتاب، فيما يتعلق بالنساء والأيتام منهم. والمعنى الآية يكون كالتالي: (قل الله يفتيكم في الأحكام التي تتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء).^(٣٧) يتم استخدام مثل هذا التفسير لسياق آيات الكريمة^(٣٨).

دور السياق في ترتيب نزول الآيات:

فيما يتعلق بالآية والآيات التي تليها وترتيب نزولها، هناك عدة احتمالات؛ فقد ذكر بعض المفسرين أن هذه الآيات تعتبر استمراراً للآيات الأولى في السورة التي تتعلق بالزواج والتحریم ومسائل الإرث، وما يمكن استنتاجه من سياق الآيات الشريفة الأخيرة هو أن الناس بعد نزول الآيات الأولى التي تناولت حقوق النساء والدفاع عنها كانوا يناقشون قضايا النساء بينهم، وربما كان ذلك صعباً بالنسبة لبعضهم. ولذلك أمر الله تعالى رسوله بأن ما تم ذكره فيما يتعلق بحقوق النساء هو أمر من الله وفتوى إلهية وليس رأياً شخصياً للنبي ﷺ، وبشكل عام، لا يمكن للنبي أن يتدخل أو يتصرف فيه، بل يمكن لله فقط أن يتخذ قراراً بشأنهن^(٣٩).

مثال ذلك:

﴿وَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ (نساء/١٢٧)

وقد أكد الإمام الباقر عليه السلام هذا المعنى في بيانه، قائلاً: "تم طرح سؤال عن الميراث لرسول الله ﷺ، ثم نزلت الآيات وشرحت الربع والثلث". أما الشيخ محمد عبده فقد وصف هذه الآيات بأنها تتماشى مع سياق آيات بداية السورة، لكنه لا يقبل ترتيبها في النزول كما هو مذكور؛ بل يقول إنه ربما كانت حكمة وراء تأخر نزول هذه الآيات بعد

آيات بداية السورة هو أن يسمع الناس الحكم ويتصرفوا، وبعد مواجهتهم في مجال العمل بالمشكلات أو الضعف يتم تأكيد وتوضيح تلك الآيات مرة أخرى^(٤٠).

دور السياق في نقد أسباب النزول:

دور أسباب النزول في تفسير آيات القرآن ليس مجهولاً لأحد، على الرغم من أن بعض الناس لم يكن لديهم قيمة لأسباب النزول، بينما آخرون مثل مالك وأحمد والسلفية كانوا يعتبرون أسباب النزول ذات أهمية كبيرة وقد قالوا إن سبب النزول هو المفتاح للوصول إلى القرآن، ولا يمكن التجاوز عن سبب النزول. هذه النهجين الأخيرة، تمثل وجهات نظر مفرطة ومتطرفة، ولكن الاعتقاد بتأثير أسباب النزول في تفسير الآيات هو وجهة نظر موضوعية. في بعض الآيات، تلعب أسباب النزول دوراً رئيسياً، ولا يمكن الوصول إلى حقيقة الآية إلا من خلال معرفة سبب النزول. قد ذكروا أمثلة من هذا النوع في كتب أسباب النزول، مثل الآية ٩٣ من سورة المائدة^(٤١). هذا الموضوع أيضاً كان محل اهتمام لمعرفة ما إذا كانت أسباب النزول تُخصَّصُ لآية معينة أم لا؟ النظرية المعروفة والشهيرة في هذا الصدد هي أن نزول مخصص لآية شريفة لا يؤدي إلى تخصيصها، فقد صرح كثير من العلماء القدامى والمعاصرين، مثل الإمام فخر الدين الرازي والأمدي والسرخسي، وكذلك العديد من المفسرين مثل الزمخشري وابن كثير وآلوسي والبغدادى وعبد و سيد قطب وغيرهم، بأن أسباب النزول والمواضيع ليست مخصصة. كما أصرت الطيف الشيعي من المفسرين على هذه النقطة ولم يعتبروا أسباب النزول مخصصة. ومع ذلك، فإن دور أسباب النزول في تفسير آيات القرآن ليس محفياً، ولهذا السبب اعتبروها إحدى العلوم المشاركة في التفسير^(٤٢). الآن المسألة تكمن في أن الاستدلال بالسبب في نزول الآيات يؤدي إلى فهم معناها، ومن جهة أخرى، يمكن استخدام الآيات لنقد وتقييم الأسباب المذكورة للنزول. يمكن للشخص أن يستنتج صوابية أو خطأ بعض أسباب النزول باستخدام الآيات القرآنية؛ على سبيل المثال، في الآية التالية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَرْذُقَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يُرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ (المدثر/٣١) يقول العلامة طباطبائي: "سياق الآية الشريفة يشير إلى أن الكفار

العرب تحدثوا بينهم عن عدد خزن جهنم، فأُنزل الله هذه الآية الشريفة بهذه الطريقة، وبالتالي، يتم تأكيد ما ذكر كسبب للنزول من خلال سياق الآية. "٤٣".

دور السياق في فهم آيات مكة والمدينة:

قد كان تحديد مواقع نزول الآيات من القرآن من أمور يوليها الباحثون اهتماماً، وقد بحثوا في هذا التحديد ووجدوا نتائج متعددة. ولهذا السبب، تمت مناقشة مكان نزول الآيات من زوايا مختلفة في كتب علوم القرآن، منها مسألة تحديد مكة أو المدينة بوصفها المعيار الأساسي. في هذا الصدد، قدموا عدة وجهات نظر:

الف. قالوا إن ما نزل من الآيات الشريفة قبل الهجرة أو على طول الطريق إلى المدينة قبل وصول النبي الكريم إليها يُعتبر مكياً، وما نزل بعد الهجرة ووصول النبي الكريم إلى المدينة يُعتبر مدينيّاً. وبناءً على ذلك، المعيار في هذا التفسير هو المعيار الزمني، حيث إن ما نزل قبل الهجرة، حتى لو كان في خارج مكة، يُعتبر مكياً، وما نزل بعد الهجرة، حتى لو كان في غير المدينة - حتى لو كان في مكة أو في حجة الوداع - يُعتبر مدينيّاً^(٤٤).

ب. ما نزل في مكة وما حولها، حتى لو كان بعد الهجرة، يُعتبر مكياً، وما نزل في المدينة وما حولها يُعتبر مدينيّاً، وما نزل خارج الشهرين لا يُعتبر مكياً ولا مدينيّاً^(٤٥).

ج. الآيات التي خاطبت أهل مكة تُعتبر مكية، والآيات التي خاطبت أهل المدينة تُعتبر مدينية. وهذا المصطلح مأخوذ من قول ابن مسعود الذي قال: "كل ما في أول آية منها (يا أيها الناس) فهو نزول مكة، وكل ما في أول آية منها (يا أيها الذين آمنوا) فهو نزول المدينة، لأن أكثر أهل المدينة آمنوا وأكثر أهل مكة كفروا."^(٤٦).

من بين هذه الآراء، الرأي الأول هو الأكثر شهرة بين العلماء. وقد ذكروا علامات أخرى لتمييز الآيات المدنية والمكية؛ على سبيل المثال، قيل إن الآيات التي تتضمن أحكاماً وفروعاً نزلت في المدينة، والآيات التي تتعلق بمبادئ الدين والأخلاق وعموميات الدين هي مكية. قال العلامة طباطبائي تحت سورة الواقعة: "إن سورة مكية بناءً على سياق الآيات". وأيضاً ذكر تحت سورة التحريم: "وإظهار السياق في هذه السورة مدني، ولا شك في ذلك". وكذلك ذكر تحت آيات سورة القلم: "سياق آياتها بشكل عام هو سياق مكّي"^(٤٧).

دور السياق في نقد الأحاديث التفسيرية:

تعتبر بدورها جزءاً من علوم التفسير.^(٤٨) أحياناً يُقدّم الدليل عبر السياق. يكتب العلامة طباطبائي: "في تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مَنشُورَةً﴾. وذلك أنهم قالوا: يا محمد قد بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يذنب الذنب فيصبح ذنبه مكتوباً عند رأسه وكفارته، فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يسألك قومك سنة بني إسرائيل في الذنوب، فإن شاءوا فعلنا ذلك بهم وأخذناهم بما كنا نأخذ بني إسرائيل، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كره ذلك لقومه." وفي كتاب "الدر المنثور"، ذكر جلال الدين السيوطي: "أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن السدي عن أبي صالح قال: قالوا: إن كان محمد صادقاً فليصبح تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براته وأمانته من النار فنزلت ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مَنشُورَةً﴾." وبعد نقل الروایتين المذكورتين، يقول العلامة طباطبائي: "سياق الآيات الشريفة لا يتطابق مع مضمون الروايات."^(٤٩).

دور السياق في تحديد مرجعية الضمير:

يستخدم الضمير في الكلام لتخفيف العبارة، ومرجعه في بعض الأحيان يكون ظاهرياً في الكلمة وفي أحيان أخرى يكون معنوياً. في بعض الحالات، قد لا يكون هناك مرجع واضح في الكلمة، بل يتضح ذلك من خلال الدلائل وسياق الجملة، كما في هذه الآية: ﴿إِلَّا تَتَصَرَّوهُ فَقَدْ نَبَّأَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هَمَّ فِي الْعَامِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^{٤١} في مرجع الضمير "فقال لصاحبه لا تحزن إن الله معنا"، الجدل حول من يكون المرجع؟ هل الضمير (قال) يشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم أم إلى أبو بكر؟ وبالمثل، الضمير (أنزل الله سكينته عليه) إلى من يشير؟ هل المقصود هو النبي صلى الله عليه وسلم أم أبو بكر؟ هناك رأيان؛ حيث قام بعض المفسرين والمتكلمين بتحويل الضمير إلى أبو بكر، وادعوا أن أبا بكر قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "لا تحزن إن الله معنا"، لأن النبي كان بحاجة إلى السكينة.^(٥٠) على الرغم من أن الزمخشري لم يتحدث بوضوح حول مرجعية

الضمير، إلا أن ظاهر كلامه يشير إلى أن الضمير (قال) يرجع إلى رسول الله، والضمير (عليه) يرجع إلى أبو بكر. (٥١) أبو مسلم اصفهاني والزجاج قد أعادوا المرجعية للضمير إلى رسول الله. وقال أبو حيان الأندلسي في تفسير "النهر الماد": "ابن عباس فسر السكينة بالرحمة والوقار، والضمير في (عليه) يعود إلى رسول الله، لأن المقصود هو الشخص الذي يتحدث عنه". (٥٢) أشار العلامة مراغي في تفسيره أيضاً إلى هذه النقطة، وقال إن الله تعالى أنزل الطمأنينة التي يهدأ بها القلب على رسوله، وأكد دعمه له بجنوده. (٥٣) بعد نقل كلام أبو حيان والمراغي، يقول العلامة محمد جواد مغنية: "ما يجعل الضمير يرجع إلى رسول الله هو سياق الآية الشريفة، لأن توحيد السياق يجعل الضمير (عليه) يرجع أيضاً إلى رسول الله، فضمائر الآية (نصره - أخرج - أيده) تُرجع إلى رسول الله". (٥٤) الانتباه إلى سياق الضمائر ووحدة المرجع كان محل اهتمام جميع مفسري الشيعة (٥٥).

فهم الكلمة أو الجملة المحذوفة، من خلال السياق يمكن أن يكون سياق الآية دليلاً على حذف الجملة، تماماً كما يمكن أن يكون دليلاً على حذف الكلمة. في الآية ﴿مَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (المزمل/١٩)، تم حذف المفعول بـ "شاء". وقد ذكر علماء النحو أنه عندما يتحقق الشرط غالباً ما يكون المفعول محذوفاً، في هذه الحالة يكون المفعول بالمصدر الذي يتأتى من العقاب؛ مثل ﴿مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ﴾، أي "مَنْ شَاءَ الْإِيمَانَ فَلْيُؤْمِنْ". (٥٦) القرينة على هذا المحذوف هي سياق الآية الشريفة، كأنها تقول: "مَنْ شَاءَ أَنْ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا اتَّخَذَ". إن كثرة حذف المفعول في الفعل "شاء" ومشتقاته تعبر عن قاعدة معروفة في النحو (٥٧).

تحديد معنى الكلمة في ضوء سياق الآية:

إذا كانت الكلمة والمفهوم تحتويان على معانٍ متعددة، فإن سياق الآيات يمكن أن يكون مؤشراً جيداً لتحديد المعنى الحقيقي. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا النَّصِيحِينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَانُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلنَّسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيُّوتِ الْدِينِ﴾ (سورة المعارج / ١٩-٢٦) التصديق بيوم الجزاء له معاني متعددة: ١. تصديق لفظي وقلبي ٢. تصديق عملي وحقيقي. يعرف من سياق الآية الذي يذكر الأعمال الصالحة أن المقصود بـ "تصديق يوم الدين" هو التصديق العملي وليس فقط التصديق العقائدي،

ومعنى التصديق العملي هو أن سيرتهم في الدنيا هي سيرة أولئك الذين يؤمنون بنظام الجزاء والثواب^(٥٨).

دور السياق في تفضيل وتحديد إحدى القراءتين:

في بعض الآيات والكلمات منها دخلت قراءتان يمكن من خلال السياق أن يتم تفضيل إحدى القراءتين. في الآية ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، قد قرأت الكلمة "أنه" بشكليين بكسر الهمزة وبفتحها، ولكن القراءة الشائعة هي بالفتح^(٥٩). في مجموع الآيات من ١ إلى ١٤ من سورة الجن، تم استخدام كلمة "أن" ١٢ مرة، وقد تمت قراءة الهمزة بالكسر في جميع الآيات بهذا الشكل لأن المفعول به هو قول الجن، أي أنهم قالوا إن... ويجب أن يُقرأ المفعول به بالكسر للهمزة^(٦٠). ويظهر سياق الآيات أن قراءة الهمزة بالكسر أفضل من القراءة بالفتح. وبالنسبة لسبب قراءتها بالفتح، لا يوجد دليل واضح^(٦١). قيل بعضهم إنها ترتبط بالاسم وخبرها الذي يعتبر استثناءً للضمير المجرور في "آمنا به"، أي "آمنا بأنه تعالى جد ربنا...".

فعالية السياق مقارنة بالأدلة الأخرى:

ما تم ذكره حتى الآن حول السياق ودوره في فهم مقصود الآيات يظهر بالفعل أن السياق هو أداة فعالة في حل بعض الغموض اللفظي والمعنوي والرد على جزء من استفسارات علماء القرآن والباحثين عن فهم الآيات، ولكن إلى أي مدى يمكن لهذه الفعالية أن تستمر وكيف يمكن للسياق أن يقف في مواجهة الأدلة الأخرى، فهذا موضوع لم تناوله بعد، وفي هذا النص فقط نذكر بإيجاز أنه عندما تكون الأدلة الأخرى أكثر دقة من السياق، فإن الاستناد إلى السياق ليس في محله، سواء كان السياق ليس فقط دليلاً، بل هو أيضاً شاهداً ومؤيداً ومرجعاً. يجب البحث عن أحد الأمثلة على مواجهة السياق والدليل الروائي في الآية المعروفة باسم تطهير؛ حيث يتعلق السياق بزوجات النبي، لكن جزءاً من الآية يتعلق بـ "العترة". يعتبر جميع المفسرين والمحدثين الشيعة الجزء الأخير من الآية فيما يتعلق بـ "الطيبة" وليس بزوجات النبي وجميع أقربائه^(٦٢). ومع ذلك، يعتقد كثير من علماء ومفسي أهل البيت بالإضافة إلى ذلك^(٦٣) القول الثاني في الآية الشريفة هو أن المقصود من "عنكم" هم نساء ورجال أهل البيت، والرأي الأكثر صواباً حول أهل البيت هو أنهم يشملون أبناء وزوجات النبي ﷺ، وحسن ﷺ وحسين ﷺ وعلي ﷺ أيضاً منهم، لأن

علي عليه السلام كان جزءاً من أهل بيت النبي بسبب تعامله مع بيت النبي وخدمته للنبي، وقد ذكروا هذا القول فخر الرازي والقرطبي وابن كثير والشنقيطي. ^(٦٤) القول الثالث هو أن المقصود من أهل البيت هم فقط نساء النبي، واختار ذلك الرازي، وقال الشوكاني في فتح القدير إن البخاري وابن أبي حاتم وابن عساكر وابن مردويه اعتمدوا على سند حديث من سعيد بن جبير يؤكد أن هذه الآية نزلت فيما يتعلق بنساء النبي وأهل البيت، وأنهم هم. ^(٦٥) قول الرابع من أبي الحسن الأشعري في "مقالات الإسلاميين" يقول بأن آية التطهير تتعلق بجميع أقارب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بما في ذلك النساء والأبناء والعترتة والعشيرة، وجميع بني هاشم وبني عبد المطلب. ^(٦٦) بعض علماء العامة مثل الترمذي والطبري وابن منذر والحاكم النيسابوري والبيهقي، الذين جميعهم من علماء وأئمة بارزين من أهل السنة، قد اعتبروا بالاستناد إلى حديث صحيح من أم سلمة، أن آية التطهير تخص علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. ^(٦٧) دليل تلك الفئة من العلماء الذين اعتبروا أن آية التطهير تتعلق بنساء النبي هو أن الآيات التي تسبق وتتبع آية التطهير في سورة الأحزاب تتعلق بنساء رسول الله، لذا يجب أن تكون هذه الآية أيضاً في شأن نساء رسول الله. وقال القرطبي: "سياق الآيات يدل على أنها تتعلق بنساء رسول الله". ^(٦٨) ولكن هناك أسباب واضحة وحاسمة تمنع الاعتماد على السياق؛ هذه الأسباب تتمثل في:

١. ذكر الضمير ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وهو ذكر ذكري، وهذا الارتباط لا يتناسب مع سياق الآية السابقة، حيث أن الضمائر في الجمل السابقة كلها مؤنثة ^(٦٩).

٢. وردت حديث صحيح عن أم سلمة، ومعروف ومشهور حديث الكساء الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "اللهم هؤلاء أهل بيتي"، وفي نهاية حديث الكساء، سألت أم سلمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن كانت أيضاً من أهل بيته، فأجابها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أنت من أهل النجاة ولكن لست من أهل البيت" ^(٧٠).

٣. لقد اعتبر علماء ومحدثون مجموعة روايات التي تدل على أن الآية الشريفة المتعلقة بأهل الطيبة نزلت في خمسة طيبة، بأنها بلغت أكثر من سبعين حديثاً، ويستحق التأمل أن الروايات المنقولة من خلال العامة في هذا السياق أكثر من الروايات التي

نقلها الخاصة.^(٧١) هذه الأسباب تمنع جميعاً أن يفهم من الآية وفقاً للسياق أن المخاطب "عنكم" يُعتبر أيضاً النبي.

أهمية السياق في التفاسير:

بين علماء التفسير الشيعة والعامّة، كان العلامة سيد محمد حسين طباطبائي يولي أكثر اهتماماً واهتماماً بفتح السياق للكشف عن الآيات الشريفة، واستخدم السياق في توضيح الكلمات، وتكوين الآيات، وتفضيل القراءات، ونقد الأحاديث، وبيان الحذف، وترتيب نزول الآيات، وتحديد مكة ومدنية الآيات الشريفة، وترتيب السور، ورفض آراء متنوعة في التفسير، وتفضيل أقوال التفسير، ونقد بعض التراكيب الأدبية، وبيان مرجعية الضمائر، ونقد آراء الكلام وغيرها. كما يجدر بالذكر أن بعض المفسرين، على الرغم من أنهم أولوا اهتماماً بدور السياق، إلا أن تفسيرهم لم يكن سياقياً، بل استبدلوا بعض المصطلحات الأخرى مكانه.

النتائج:

١. أكدت الدراسة أن السياق يلعب دوراً حاسماً في تفسير النصوص القرآنية. ففهم الآيات ضمن سياقها يسهم في تجنب الفهم الخاطئ أو التفسيرات الجزئية التي قد تنشأ عند عزل الآيات عن سياقها.
٢. تناولت الدراسة أنواع السياق المختلفة، مثل السياق اللغوي (النص المحيط بالآية)، والسياق التاريخي (الأحداث والظروف التي نزلت فيها الآية)، والسياق الموضوعي (الموضوع العام للسورة أو مجموعة الآيات). كل نوع من هذه الأنواع يقدم زاوية مختلفة لتفسير النص.
٣. أوضحت الدراسة أن السياق اللغوي يمكن أن يساعد في تحديد معاني الكلمات والعبارات الغامضة. ويمكن أن يعتمد المفسرون على السياق اللغوي لفهم المعاني المتعددة للكلمة الواحدة في القرآن الكريم.
٤. بينت الدراسة أن معرفة الظروف التاريخية وأسباب النزول يمكن أن تقدم تفسيراً أكثر دقة للآيات. ففهم الأحداث التي نزلت فيها الآيات يساعد في توضيح المقاصد الشرعية والتشريعية.

٥. أشارت الدراسة إلى أن النظر في الموضوع العام للسورة أو للجزء الذي تنتمي إليه الآية يمكن أن يوفر فهماً أعمق للنص. فمثلاً، إذا كانت السورة تركز على مواضيع معينة مثل العقيدة أو التشريع، فإن ذلك يؤثر على تفسير الآيات الفردية.

٦. شددت الدراسة على أن استخدام السياق يساعد في تجنب التفسير الانتقائي، حيث يمكن للمفسر أن يستند إلى نصوص متكاملة بدلاً من الاعتماد على آيات منفردة لتبرير مواقف معينة.

٧. أظهرت الدراسة أن السياق يساعد في تحقيق الانسجام بين الآيات المختلفة، مما يساهم في تكوين صورة متكاملة ومترابطة للتعاليم القرآنية.

٨. قدمت الدراسة أمثلة تطبيقية على كيفية استخدام السياق في تفسير بعض الآيات التي قد تبدو متناقضة أو غامضة، وكيف أن الرجوع إلى السياق يزيل هذه الغموض ويوضح المعنى المقصود.

التوصيات:

يوصي الباحث بضرورة تدريب المفسرين على استخدام السياق بشكل منهجي، وتطوير مناهج تعليمية تركز على أهمية السياق في تفسير القرآن. كما توصي بإجراء المزيد من البحوث حول تأثير السياق على تفسير النصوص القرآنية. هذه النتائج تؤكد على الدور المركزي للسياق في تفسير القرآن الكريم وتبرز أهمية فهم النصوص القرآنية ضمن سياقها لتحقيق تفسير صحيح وشامل.

هوامش البحث

- (١) الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٥ ص ٤٧٥، مادة سوق.
 - (٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٣ ص ١١٧، مادة سوق.
 - (٣) دلالة السياق في النص القرآني، علي حميد خضير، أطروحة مقدمة الى قسم اللغة العربية في كلية الآداب والتربية الأكاديمية العربية، الدائمك، درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، ص ٢٥
 - (٤) ستيف أولمان، دور الكلمة في اللغة، تحقيق كمال بشر، دار غريب للنشر، ط ٢، ١٩٩٧، ص ٥٥
 - (٥) جون ديويوا، معجم اللغويات و علوم اللغة، لاروس، ط ٢، ١٩٩٩، ص ١١٦
 - (٦) د. أبو تمام أحمد مرغني عيسوي، مرجع سابق، ص ٥٧
 - (٧) فرحان، «امتدادات السياق الاجتماعي على مساحات المعاني مقارنة في ضوء اللسانيات الاجتماعية» □:
- ص ٥٤
- (٨) حسن، عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، ١٤٣٤ هـ، دمشق، دار القلم، ط ٢، ص ١٤٥
 - (٩) رازي، روح الجنان: ج ٢، ص ٩٠؛ ميدي، كشف الاسرار: ج ٣، ص ٨
 - (١٠) طباطبائي، الميزان: ج ٥، ص ١٦٢
 - (١١) مغنيه، الكاشف: ج ٣، ص ١١
 - (١٢) قراءتي، تفسير نور: ج ٣، ص ١٧
 - (١٣) طباطبائي، الميزان: ج ٥، ص ١٦٧؛ ميدي، كشف الاسرار: ج ٣، ص ١٤
 - (١٤) زحيلي، التفسير المنير: ج ٦، ص ٨٢
 - (١٥) فيومي، المصباح المنير: ص ٣١٥
 - (١٦) عبد الحميد، المختار من الصحاح: ص ٣٦٩
 - (١٧) زحشري، الكشاف: ج ٥، ص ٣٢٧
 - (١٨) مغنيه، الكاشف: ج ٥، ص ٣٢٧
 - (١٩) شيرازي، تفسير نمونه: ج ١٤، ص ٩٧؛ فضل الله، من وحي القرآن: ج ١٦، ص ٦٥
 - (٢٠) طباطبائي، الميزان: ج ١٤، ص ٣٧٥؛ قرشي، احسن الحديث: ج ٧، ص ٤٧
 - (٢١) جوهرى، صحاح اللغة: ج ١، ص ١٣٧؛ فيومي، المصباح المنير: ص ٢٨٠؛ محي الدين، المختار من الصحاح: ص ١٩٨
 - (٢٢) حلي، الدر المصون: ج ٤، ص ١٠٦
 - (٢٣) قاسمي، محاسن التأويل: ج ٥، ص ١٢٧

- (٢٤). قاسمي، محاسن التأويل: ج٥، ص ١٢٧
- (٢٥). زاهدي، تيسير الاصول: ص ١٢٨؛ شبلي، اصول الفقه الاسلامي: ص ٤٦٧؛ كمال الدين امام، اصول الفقه الاسلامي: ص ٢٧٥؛ زيدان، الوجيز في اصول الفقه: ص ٣٥٢؛ حيدري، اصول الاستنباط: ص ١٢٧
- (٢٦). سرخسي، الاصول: ج ١، ص ١٦٨؛ زكي الدين، اصول الفقه اسلامي: ص ٣٦٢
- (٢٧). طباطبائي، الميزان: ج ٥، ص ١٠٠؛ كاشاني، الصافي: ج ١، ص ٤٦٨
- (٢٨). طباطبائي، الميزان: ج ٥، ص ١٠٠؛ كاشاني، الصافي: ج ١، ص ٤٦٨
- (٢٩). طباطبائي، الميزان: ج ٥، ص ١٠٠؛ كاشاني، الصافي: ج ١، ص ٤٦٨
- (٣٠). ابن انباري، الانصاف: ص ٣٦٣
- (٣١). يعيش، شرح المفصل: ج ٣، ص ٧٨؛ استرآبادي، شرح كافي: ص ٣٢٠
- (٣٢). نيشابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان: ج ٤، ص ١٦٥؛ انباري، البيان: ج ١، ص ٢٤٠
- (٣٣). ابن عقيل، شرح الفيه، ص ٥٠٢؛ انصاري، اوضح المسالك: ج ٣، ص ٦١
- (٣٤). سيوري، كنز العرفان: ج ٢، ص ٤؛ جواد، مسالك الافهام: ج ٢، ص ٣١٢
- (٣٥). طباطبائي، الميزان: ج ٥، ص ٩٩
- (٣٦). سيوري، كنز العرفان: ج ٢، ص ٦
- (٣٧). طباطبائي، الميزان: ج ٥، ص ٩٩
- (٣٨). طباطبائي، الميزان: ج ٥، ص ٩٩
- (٣٩). طباطبائي، الميزان: ج ٥، ص ٩٨؛ كاشاني، الصافي: ج ١، ص ٤٦٨؛ قمي، تفسير القمي: ج ١، ص ١٣٠
- (٤٠). عبده، المنار: ج ٥، ص ٤٦٢؛ مراغي، تفسير المراغي: ج ٦، ص ١٦٩
- (٤١). سيوطي، الاتقان: ج ١، ص ١٠٧؛ صبحي، مباحث في علوم القرآن: ص ١٣١؛ معرفت، تلخيص التمهيد: ج ١، ص ١٠١؛ حكيم، علوم القرآن: ص ٣٩
- (٤٢). فخرزاي، المحصول: ج ١، ص ٤٤٨؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج ٢، ص ٣٢٠؛ زحشري، الكشف: ج ١، ص ١٧٩؛ آلوسي، روح المعاني: ج ١، ص ٣٦١؛ عبده، المنار: ج ١، صص ١٤٨-١٤٩؛ سيدقطب، في ظلال القرآن: ج ١، ص ٢٩٧؛ قرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج ١، ص ١٨٢؛ معرفت، تلخيص التمهيد: ج ١، صص ١١٩-٢٤٢؛ اردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان: ج ٤، ص ٥٤؛ همو، زبدة البيان: ج ٧٧، ص ٢٠٦؛ شهيد اول، غاية المراد: ج ١، ص ١٢١؛ شهيد ثاني، الروضة البهية: ج ٦، ص ١٣٣؛ طبرسي، مجمع البيان: ج ١٠، ص ٦١٢؛ صادقي، الفرقان في تفسير القرآن: ج ٥، ص ٢٤٠
- (٤٣). طباطبائي، الميزان: ج ٢، ص ٩١
- (٤٤). سيوطي، الاتقان: ج ١، ص ٩؛ معرفت، التمهيد: ج ١، ص ١٣٠
- (٤٥). زرکشى، البرهان: ج ١، ص ١٨٧

- (٤٦). معرفت، التمهيد: ج ١، ص ١٣١
- (٤٧). طباطبائي، الميزان: ص ١١٥
- (٤٨). طبرسي، مقدمه مجمع البيان: ص ٤٥
- (٤٩). طباطبائي، الميزان: ج ١٩، ص ١٠١
- (٥٠). بغدادى، روح المعاني: ج ١٠، ص ٩٨؛ قرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج ٨، ص ١٣٥؛ بياضوى، انوار التنزيل: ج ٣، ص ١٤٦
- (٥١). زحخشري، الكشف: ج ٢، ص ٣٧٢
- (٥٢). اندلسى، النهر الماد: ج ٣، ص ٤٥
- (٥٣). مراغى، تفسير المراغى: ج ١٠، ص ١٢٢
- (٥٤). مغنيه، الكاشف: ج ٤، ص ٤٥
- (٥٥). طوسى، التبيان: ج ٥، ص ٢٢٢
- (٥٦). سيوطى، همع البوامع: ج ٢، ص ١٠؛ هاشمى، القواعد الأساسية: ص ١٩٥
- (٥٧). طباطبائي، الميزان: ج ٢٠، ص ٦٨
- (٥٨). زركشى، البرهان: ج ٢، ص ١٧٠
- (٥٩). طباطبائي، الميزان: ج ٢٠، ص ١٦
- (٦٠). ابن عقيل، شرح الفيه، ج ١، ص ١٧٩؛ عاملى، الفوائد الصمدية (جامع المقدمات تصحيح مدرس افغانى): ج ٢، ص ٤٦٢
- (٦١). حنبلى، اللباب فى علوم الكتاب: ج ١٩، ص ٤١١؛ زجاج، معانى القرآن: ج ٥، ص ٢٣٤؛ طوسى، التبيان: ج ١٠، ص ١٤٥
- (٦٢). شنقيطى، اضواء البيان: ج ٤، ص ٢٨٥
- (٦٣). نيشابورى، المستدرك فى الصحيحين: ج ٣، ص ١٤٨
- (٦٤). رجوع الي تفاسير فخررازي و قرطبي و ابن كثير و شنقيطى، ذيل آيه شريفه
- (٦٥). شوكانى، فتح القدير: ج ٤، ص ٢٧٠
- (٦٦). اشعري، مقالات الاسلاميين: ص ٩
- (٦٧). فيروزآبادى، فضائل الخمسة: ج ١، ص ٢٢٨
- (٦٨). شنقيطى، اضواء البيان: ج ٤، ص ٢٨٥
- (٦٩). طباطبائي، الميزان: ص ٣١٠؛ فضل الله، من وحى القرآن: ج ١٨، ص ٣٠١
- (٧٠). ترمذى، الجامع الصحيح: ج ٢، ص ٣٠٨؛ طحاوى، مشكل الآثار: ج ١، ص ٣٣٥؛ ابن اثير، اسد الغابة: ج ٢، ص ١٢
- (٧١). طباطبائي، الميزان: ج ١٦، ص ٣١١؛ فضل الله، من وحى القرآن: ج ١٨، ص ٣٠١.

قائمة المصادر والمراجع

- إن خير ما ابتدئ به القرآن الكريم

المصادر والمراجع المطبوعة:

١. الطبري، إمام محمد بن جرير. (١٩٩٤). تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن). بيروت: مؤسسة الرسالة.
٢. القرطبي، محمد بن أحمد. (٢٠٢١). تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن). بيروت: دار الكتب العلمية.
٣. كثير، إمام إسماعيل بن عمر. (١٩٩٨). تفسير ابن كثير. القاهرة: دار ابن حزم.
٤. قطب، محمد. (٢٠١٩). في ظلال القرآن. مصر: دار الشروق.
٥. عاشور، طاهر. (٢٠١٥). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية.
٦. الدراسات الأكاديمية والأبحاث:
٧. العساف، عبد الحميد عبد الله. (١٩٩٧). «السياق وأثره في تفسير القرآن الكريم دراسة أكاديمية متخصصة تناول دور السياق في تفسير القرآن».
٨. الطيار، مساعد. (١٩٩٨). «مدخل إلى علم التفسير يقدم مقدمة شاملة حول علم التفسير وأهمية السياق في فهم النصوص القرآنية».
٩. الجليند، دكتور محمد. (١٩٨٤). «التفسير الموضوعي للقرآن الكريم يتناول التفسير الموضوعي ويولي اهتماماً كبيراً بالسياق الموضوعي للآيات».

مقالات وأبحاث منشورة في المجلات العلمية:

١٠. دور السياق في تفسير النص القرآني - بحث منشور في مجلة الدراسات الإسلامية والعربية.
١١. السياق وأثره في التفسير الفقهي - مقال منشور في مجلة العلوم الإسلامية.

أطروحات جامعية:

١٢. السياق القرآني وأثره في التفسير رسالة ماجستير أو دكتوراه متاحة في مكتبات الجامعات.
١٣. دور السياق في توجيه معاني القرآن الكريم أطروحة جامعية تناقش تأثير السياق على فهم وتفسير القرآن.

١٤. مجلة كلية التربية جامعة واسط، الباحثة رنين نوري جواد العزاوي، جامعة ديالى، اوضاع مسلمي الاندلس بعد سقوط غرناطة من خلال جهود الدكتور عبد الرحمن حجي

15. <https://doi.org/10.31185/eduj.Vol49.Iss1.3242> DOI

١٦. إبراهيم، علي خضر. «مجلة تربية واسط المؤتمر العلمي الدولي الحادي عشر ٢٠١٩». فلسفة السنن الكونية في حكومة الإمام علي عليه السلام.

17. <https://doi.org/10.31185/eduj.Vol3.Iss3.945> DOI

مواقع إلكترونية وموسوعات:

١٨. موقع إسلام ويب.

١٩. الموسوعة القرآنية.

٢٠. موقع المكتبة الشاملة.